المحاضرة السادسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث –تابع–

هدف المحاضرة 6: أن يتعرف الطالب على بعض أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث من كتابات المبعوثين والسياسيين والدبلوماسيين، كتابات الأسرى والكتابات العامة التي عايش أصحابها الأحداث والوقائع

–كتابات المبعوثين السياسيين والدبلوماسيين: والتي منها نذكر:

أ–نيكولاس نيكولاي: الأربع كتب الأولى للبحرية في الشرق.

–NICOLAS DE NICOLAY, Les quatre premiers livres des navigations et pérégrination orientale(86)

على الرغم من أن المبعوث الفرنسي نيكولاس دي نيكولاي لم تدم إقامته في الجزائر ألا بضعة أيام، لأنه كان متوجها إلى عاصمة الدولة العثمانية فمر بمدينة الجزائر وسجل ملاحظاته وانطباعاته عن بعض الوقائع والأحداث، وزار العديد من المناطق والجهات، فكان قلمه سيالا في عدة مواضيع والتي منها: تسمية الجزائر، وصف المدينة، الموقع، الضواحي، الأسوار، القلاع، القصر الملكي، المنازل، الحمامات، الأسواق، المسجد الكبير، الميناء، السكان، الجبال، السهول، الحدائق خارج أسوار المدينة، بعض العادات والتقاليد، المدينة بين الملك الكاثوليكي فرديناند و خير الدين بربروس...، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بتاريخ الجزائر الحديث في بداياته(1551)، إلا أن لغة الكاتب صعبة القراءة والترجمة لأنها لغة القرن السادس عشر التي تغيرت كثيرا عن اللغة المستعملة اليوم، وهذا الأمر يزيد في عسر استغلال هذا المصدر الذي نحسبه من المصادر المهمة في التاريخ الحديث للجزائر وللدولة العثمانية في آن واحد.

ب–توماس هيز: يوميات رحلة إلى الجزائر 1675–1676.

-THOMAS HEES, journal d'un Voyage à Alger 1675-1676[87]

هذا المصدر بقدر ما هو رحلة سياسية بقدر ما يمكن إدراجه ضمن كتابات المبعوثين السياسيين والدبلوماسيين، صاحبه فرنسي حل بمدينة الجزائر لتسوية بعض القضايا التجارية مع الحكومة التركية، وتحدث فيه صاحبه عن أمور عديدة والتي منها إجراءات التعامل في الميناء، التحية المتبادلة بين السفن والأبراج بالطلقات النارية، الضباط السامون، ترجمان الداي، وصف محمد التريكي، وصف القصر، اللغة، كرم الضيافة عند الأتراك، وصف إقامة قنصل بريطانيا خارج مدينة الجزائر، النقود، المقابر، رمضان، العيد، اللباس، الأسرى، معبد اليهود، بعض المسائل الاقتصادية بين الجزائر وفرنسا...، و للاستفادة من هذا المصدر يجب التثبت الجيد من صدق أخباره وذلك بمقارنتها مما ورد في مصادر مماثلة ومتزامنة، مثلما أورده شوفالييه دارفيو في مذكراته سنة 1675.

ج-بوتي دو لاكروا: مذكرة عن الجزائر في سنة 1695.

-MARCEL EMERIT, Un Mémoire sur Alger par PETIS DE LA CROIX[88]

هذا المبعوث الفرنسي الذي حل في مدينة الجزائر أواخر القرن السابع عشر في إرسالية من طرف لويس الرابع عشر لإعادة العلاقات بين البلدين التي كانت تتوتر بين الحين والآخر، فدون العديد من الصفحات التي خصت تاريخ الجزائر الحديث، وتناول فيها ما يلي: قدم مدينة الجزائر، مناداة الجزائريين للأتراك، عدد الباشوات، الثغريون، ثراء الباشوات، سلام مع

فرنسا في سنة 1666، تريكو أول داي للجزائر، الديوان، القضاء، الإفتاء، الميليشيا، غرف الإنكشارية، البايات، العائدات المالية، البادستان(سوق بيع العبيد)، منزل حاكم الجزائر، المدارس، السجون، النساء، العملة والنقد، وعلاقة الجزائر بجيرانها...، وعلى الرغم من وجود

بعض الأخطاء المعرفية فيما ذكره بوتي دو لاكروا، إلا أنه قدم معلومات في غاية الفائدة عن تاريخ الجزائر الحديث في جوانب متفرقة.

-كتابات الأسرى:

سنحاول أن نذكر الأسرى غير المعروفين، وإن كان عددهم كبير جدا، لكن الذين وصلتنا كتاباتهم قليل، وهي أيضا تحمل في طياتها التنوع والتعدد، لكن في ظروف الأسر والاسترقاق ويجب إن يضع الباحث والدارس هذا العامل في الحسبان، ومنها:

أ-جاو ماسكارينهاس:أسير في الجزائر(رواية أسر جاو ماسكارينهس) 1621-1625،

-MASQUARINHAS JOAO, Esclave à Alger (récit de captivité de JOAO MASCARINHAS 1621-1625 (89)

لقد مكث هذا البرتغالي في سجون مدينة الجزائر خمس سنوات، أطلق سراحه بعد عملية الفداء، ودون تاريخه والأيام التي قضاها في المدينة متناولا العديد من المواضيع والقضايا، والتي تم الإطلاع عليها ومنها: بيع الأسرى في سوق العبيد، النصائح المقدمة للأسرى، المنظر العام لمدينة الجزائر، الثكنات، المساجد، السجون، الحمامات، اليهود، خندق وسور المدينة، المرفأ، ضواحي المدينة، الأبراج ، الحدائق المحيطة بالمدينة، حكومة الأتراك، العائدات، السلطات، الديوان، نقيب الإنكشارية، تنظيم الأتراك في الحرب...، وغيرها من المواضيع التي تخص تاريخ الجزائر الحديث بنظرة رجل مسيحي كان فاقدا لحريته.

ب- إمانويل دارندا: أسرى الجزائر من خلال علاقة إمانويل دارندا بهم الأسير في الجزائر.

-EMANUEL D'ARANDA, Les Captifs d'Alger d'après la relation de EMANUEL D'ARANDA jadis esclave à Alger (XVII^{ème} siècle)(90)

على الرغم من أن هذا الأسير الهولندي لم تدم إقامته في الجزائر حيث مكث سنتين فقط، من 1640إلى1642، إلا أنه دون معارف وحقائق عن سلطة الأتراك، المدينة، قصص عن بعض الأسرى، البكاء على الموتى في الجنائز، عادات الزواج، كيفية العلاج دون طبيب، وما سجلناه على أغلب حديث هذا الأسير حكايات الأسرى وأوضاعهم في تلك الفترة. ولعل المتصفح الدقيق والقارئ المتأني لمثل هذه المصادر يستنبط منها قيما كثيرة ويستخرج منها فوائد جمة تمس تاريخ الجزائر الحديث والذي هو جزء من تاريخ الجزائر العام وهذه هي الغاية المنشودة التي نتطلع إليها دائما.

ج- فراي ديغو دي هايدو: طبوغرافية والتاريخ العام لمدينة الجزائر

-F.D.DE HAIDO, Topographie et Histoire générale d'Alger [(91)]

مكث هذا الإسباني خمس سنوات في مدينة الجزائر كأسير بين 1577-1581، دون خلالها العديد من ملاحظاته وانطباعاته بعد أن فك أسره وعاد راجعا إلى بلاده إسبانيا، وقد صار مصدر الكثير من الأوربيين الذين كتبوا بعده عن الجزائر لأنه طبع في سنة 1612، بالرغم من أن كتابه يحمل عبارات التهجم والازدراء لكل ما هو إسلامي من جهة وعثماني من جهة أخرى، غير أنه يحوي في ثناياه بعض الحقائق الوصفية للمباني وهندسة الدور وكذا وصف الأشخاص، ففي اعتقادنا الناحية المورفولوجية يمكن أخذها من هذا المصدر، بينما النواحي الأخرى التي يذكر فيها انطباعاته وأحكامه يجب على الباحث والقارئ الاحتراز منها.

-الكتابات العامة والكتابات الخاصة(المذكرات والسير الذاتية):

***الكتابات العامة:** في الحقيقة توجد هناك العديد من الكتابات العامة التي دونت عن تاريخ الجزائر الحديث سواء المحلية منها أو غير المحلية، وكان أصحابها قد شاهدوا بعض الوقائع والأحداث أو عاصروها، أو قيل لهم عن مجرياتها، لذلك كانت مصادرهم غنية بالمعارف والمعلومات والأخبار في جوانب كثيرة من الحياة في تلك الفترة، وحسبنا أن ننتقي منها:

أ-عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر[92]، تناول فيه الكاتب قبائل وهران وعلاقتها بالأسبان، وتعرض فيه أيضا للتعريف بالأسبان، والقبائل العربية التي كانت تقطن جهة وهران وكيف تعاونت مع الأسبانيين والتي منها بني مسخن، كرشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، الونازرة وأولاد علي، وأن أفراد هذه القبائل قد ضعف دينهم وصاروا خداما للعدو والعيون الساهرة لتحقيق مصالحه، وقد بين المشرفي الحكم الشرعي في هذه الأفعال الممقوتة لدى المسلمين الذين باعوا الآخرة بالدنيا ودعا عليهم ولعنهم وتمنى لهم الخزي والإخلاء من الأرض.

ب-مسلم بن عبد القادر الوهراني: خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر، أو تاريخ بايات وهران المتأخرين [93] :

يعتبر هذا المصدر من المصادر الهامة في تاريخ الجزائر الحديث، غير أنه يخص الناحية الغربية منها، أي وهران في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي من 1778 إلى 1832، وتناول فيه الكاتب مسلم بن عبد القادر بعض الأحداث التي وقعت أيام: محمد الكبير، عثمان بن محمد الكبير، مصطفى بن عبد الله العجمي، محمد المقلش، محمد بن عثمان(بوكابوس)، علي قاربغلي وحسن بن موسى. وللإشارة فقد كان مسلم بن عبد القادر موظفا في ديوان وهران، وتأسف لما آلت إليه الأوضاع في الجزائر عموما وفي وهران خصوصا، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر حركة التمرد والثورة الدرقاوية التي سجلها مسلم بن عبد القادر بشيء من التفصيل، كما أورد كذلك جملة من الأمراض والأوبئة التي اجتاحت المنطقة الغربية في تلك الفترة.

ج-أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار[94]:

يعتبر هذا الكاتب بحق شيخ المؤرخين في الجزائر في العهد العثماني لكثرة تآليفه في مجالات عديدة، والتي منها نذكر: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، درء الشقاوة في حروب درقاوة، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار...، وما نركز عليه منها التأليف الأخير (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار) الذي دونه صاحبه بطلب من الباي محمد الكبير حينما فتح واسترجع وهران من الأسبان سنة 1791، المصدر في جزأين، تناول فيهما الكاتب محمد أبو راس العديد من المواضيع المتنوعة والتي منها: أخبار بلاد المغرب من مصر إلى مراكش، أنساب الأولين وأخبارهم، قبائل وهران، بايات الغرب الجزائري(إبراهيم باشا وعثمان باي)، علماء وأولياء وهران، إنشاء وهران، فتح وهران من طرف محمد الكبير، مدح الفاتح محمد الكبير...، وفي كل هذا لا يخفي الكاتب تأييده للعثمانيين، وتمنى أن يسترجعوا الأندلس (الفردوس المفقود)، وقد يجد الباحث في هذا المصدر معلومات أخرى عن تلمسان والصحراء وبلاد السودان، وكلها لها علاقة بتاريخ الجزائر الحديث.

الهوامش والإحالات الخاصة بالمحاضرة السادسة:

(86)-NICOLAS DU NICOLAY, **Les Quatre premiers Livres des navigations et pérégrination orientale**, Lion, 1568.

(87)-THOMAS HESS, « **journal d'un voyage à Alger 1675-1676** », trad, par G.H. BOUSQUET et G.W BOUSQUET MIRANDOLLE, in R.A, 1957.

(88)-MARCEL EMERIT, **Un mémoire sur Alger**..., Op.cit.

-فاتح بلعمري، **الجزائر سنة 1695 من خلال مصدر نادر...**، المرجع السابق.

(89)-JOAO MASQUARENHAS, **Esclave à Alger**, trad, de Portugais, annotés par TEYSSIER, édition chandingne, Paris, 1993.

(90)–EMANUEL D'ARANDA, **Les captifs d'Alger d'après la relation d'EMANUEL D'ARANDA, jadis esclave à Alger (XVII^{ème}),** texte établie par LATIFA ZEGHARI, Casbah, édition, Alger, 2004.

(91)–F.D.HAEDO, **Topographie…**, Op.cit.

(92)–عبد القادر المشرفي، **بهجة الناضر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

(93)–مسلم بن عبد القادر الوهراني، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخرين**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الجزائر، 1974.

(94)–أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج1، ج2، تقديم وتحقيق: محمد غالم، منشورات المركز الوطني في البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.